

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُحْتَرَمُونَ،

إِنَّ الْهَجْرَةَ سُنَّةٌ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمُوظَّفِينَ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ الْإِلَهِيَّةِ إِلَى النَّاسِ. فَتَرَكَ نَفْرٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّبِيِّينَ الْمُبْعُوْثِينَ قَبْلَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ دِيَارَهُمْ لِنَشْرِ الدِّينِ الْحَنِيفِ. كَذَلِكَ هَاجَرَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَمَا امْتَحَنَ امْتِحَانًا شَدِيدًا أَثْنَاءَ دَعْوَتِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مُدَّةَ ثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةٍ بِإِذْنِ رَبِّهِ. وَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ مُجَرَّدَ تَبْدِيلِ مَكَانٍ لِمَكَانٍ يَمُدُّ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ. بَلْ كَانَ فَتْحًا لِأَفَاقٍ جَدِيدَةٍ لِلْبَشَرِيَّةِ. فَإِنَّهُ إِذَا نَظَرْنَا إِلَى تَارِيخِ انْتِشَارِ الْأَدْيَانِ، فَفَرَى أَنَّ هَجْرَةَ نَبِيِّنَا ﷺ كَانَتْ بَدَايَةَ لِتَنْمِيَةٍ وَانْكَشَافٍ عَظِيمٍ لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الْعَالَمِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكِرَامَ،

فَأَيْنَ نَحْنُ الْيَوْمَ مِنْ هَذِهِ التَّنْمِيَةِ وَالْانْكَشَافِ؟ وَكَيْفَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَفْهَمَ الْهَجْرَةَ الْيَوْمَ؟ إِذَا أَرَدْنَا جَوَابَ هَذَا السُّؤَالِ يَكْفِينَا النَّظَرُ إِلَى مَعْنَى كَلِمَةِ «الْهَجْرَةَ». فَإِنَّ مَعْنَاهُ الْخُرُوجُ مِنَ الْحَرَجِ وَالضِّيقِ أَوْ الْخُرُوجُ مِنْ مَكَانٍ لِلْبَحْثِ عَنِ الْإِمْكَانِيَّاتِ وَالْأَمَاكِنِ الْجَدِيدَةِ لِتَحْقِيقِ الْمُعْتَقَدَاتِ وَالْأَهْدَافِ. وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنِ تَغْيِيرِ الشُّرُوطِ الْمُضْطَهَدَةِ لِقِيَمِنَا وَأُصُولِ اعْتِقَادِنَا وَالْبَحْثِ عَنِ الْإِمْكَانِيَّاتِ الْجَدِيدَةِ. وَبِهَذَا الشَّكْلِ تَكُونُ الْهَجْرَةُ وَظِيْفَتَنَا الْأَخْلَاقِيَّةَ.

إِخْوَتِي الْقِيَمُونَ،

إِنَّ قُطْبَ وَظِيْفَتَنَا الْأَخْلَاقِيَّةَ هَذِهِ هُوَ النِّيَّةُ الَّتِي تَبْعَثُنَا لِلْعَمَلِ. فَإِنَّ الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ ﷺ قَالَ فِي حَدِيثِهِ الشَّرِيفِ: «الْعَمَلُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى. فَمَنْ كَانَتْ هَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ. وَمَنْ كَانَتْ هَجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةً يَنْكِحُهَا، فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»¹ فَهَمَّا عَمَلْنَا نَظَرَ رَبَّنَا تَعَالَى إِلَى صِدْقِ قُلُوبِنَا وَتَقْوَانَا.

فَبَيْنَ لَنَا رَبَّنَا تَعَالَى بِمِثَالِ الْهَجْرَةِ أَهْمِيَّةَ رِعَايَةِ النِّيَّاتِ. فَلَنَحْأَسِبْ أَنْفُسَنَا فِي نِيَّاتِنَا عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ. فَإِنَّهُ أَسَاسُ الْإِخْلَاصِ.

إِخْوَتِي الْكِرَامَ،

إِنَّ الْأَمْرَ كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: لَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ تَكُونَ هِجْرَتُنَا إِلَّا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَالطَّرِيقُ الْأَمْتَلُ لِإِظْهَارِ ذَلِكَ هُوَ الثَّبَاتُ عَلَى حَالِ التَّوْبَةِ وَالْاعْتِرَافِ بِالْقُصُورِ. فَإِنَّ التَّوْبَةَ تَرَكَ الْأَخْطَاءَ وَالْمَعَاصِي وَالرُّجُوعُ إِلَى مَا اسْتَحْسَنَهُ اللَّهُ وَسُنَّتَهُ رَسُولُهُ ﷺ. فَكَأَنَّهَا هِجْرَةٌ مُسْتَمْرَةٌ بِتَرَكَ السَّيِّئَاتِ وَالْأَخْلَاقِ الْقَبِيْحَةِ لِمَا يَرْضَى اللَّهُ مِنْ فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ. فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

﴿قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجُوزَ فَهَجِرْ﴾² أَكَدَّ رَبَّنَا بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَهْمِيَّةَ الْإِسْتِقَامَةِ فِي صِدْقِ التَّوَجُّهِ إِلَيْهِ.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءَ،

تَأْتِي الْهَجْرَةُ بِمَسْئُولِيَّتَيْنِ. فَإِنَّ الْهَجْرَةَ تَقْتَضِي مُحَاسَبَتَنَا نِيَّاتِنَا وَمُرَاقَبَةَ مَقَامِنَا أَمَامَ رَبِّ الْعَالَمِينَ. فَلَنَنْتَبِهْ عَلَى أَنْ نَعْمَلَ بِهَذَا الْوَعْيِ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ. وَلَنَتَرَكَ كُلَّ مَا يُبْغِضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ. وَلَنَسْتَهْدِفِ الْحَالَ الَّذِي يَرْضَاهُ بِالْإِسْتِقَامَةِ. فَإِذَا تَعَرَّضْنَا لِلصُّعُوبَاتِ فَلَنَجَادِلِ، وَلَنَقْمُ بِمُسَاعَدَةِ مَنْ يُوَاجِهُ الصُّعُوبَاتِ بِأَمْوَالِنَا وَأَنْفُسِنَا. فَإِنَّ أَهَمَّ مَبَادِيِ الْإِخْلَاصِ هُوَ إِدْرَاكُ الْحَكْمِ الْقُرْآنِيِّ وَالنَّبَوِيَّةِ وَتَطْبِيقُهَا فِي الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ. فَإِنَّ مَوْلَانَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعِدُ الْفُتُوحَاتِ الْعَظِيمَةَ لِمَنْ تَحَقَّقَ فِيهِ صِدْقُ التَّوَجُّهِ إِلَى خَالِقِهِ، ثُمَّ اجْتَهَدَ لِيَسْتَقِيمَ عَلَى هَذَا الْحَالِ. فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾³ جَعَلْنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الَّذِينَ يَعْتَصِمُونَ بِحَبْلِهِ الْمَتِينِ وَسُنَّتِهِ رَسُولِهِ الْحَبِيبِ ﷺ وَثَبَّتْنَا فِي هِجْرَتِنَا. آمِينَ

² سورة المدثر: ٢-٥

³ سورة نوح: ١٠-١٢

¹ متفق عليه. صحيح البخاري، كتاب النكاح، ٥، رقم الحديث (٥٠٧٠)؛ صحيح مسلم، كتاب الإمارة، ١٥٥، رقم الحديث (١٩٠٧)؛ وورد بألفاظ متقاربة